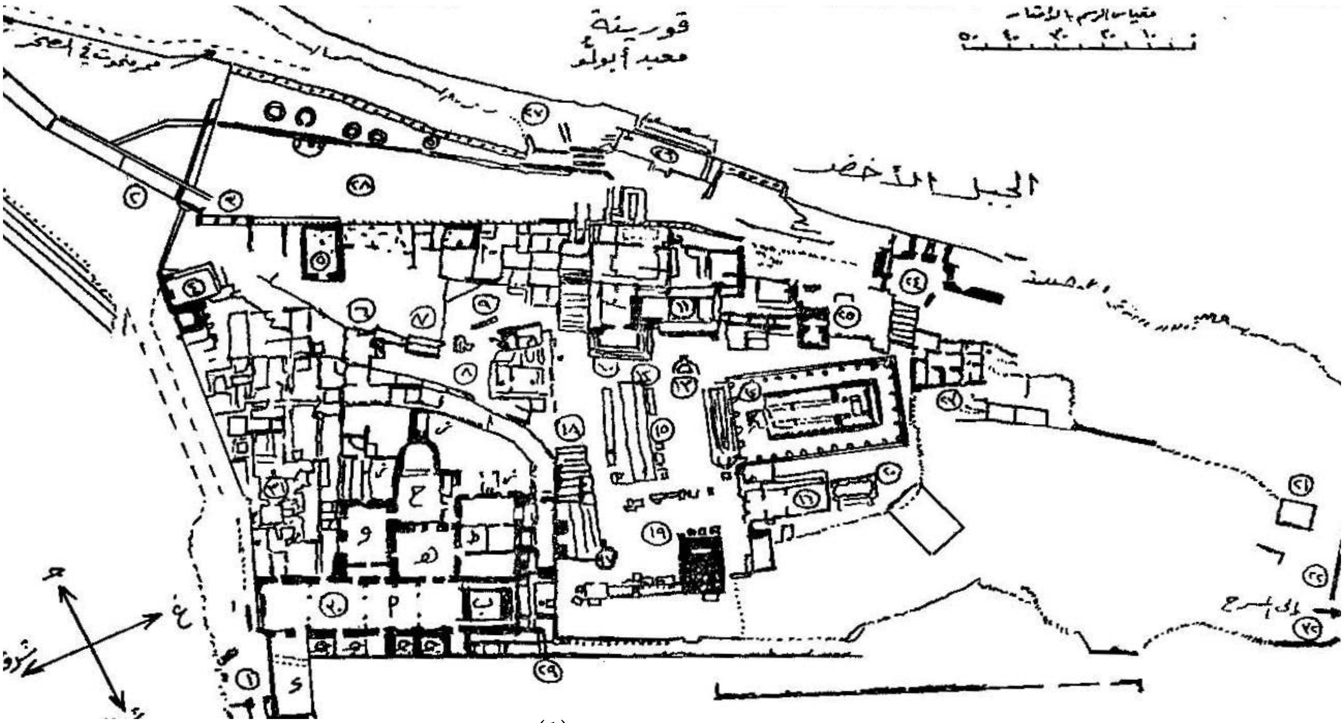
الفصل السابع

المدن والمواقع الأثرية في ليبيا



مخطط رقم (1)
عن هايسلوب

المدن والمواقع الأثرية في ليبيا

أولاً: في برقة:

قورينة = سيرين = شحات:

إن مظهر قورينة الرائع والمناظر الطبيعية الفذة التي تحيط بالمدينة لا بد أنها كانت تذكر الإغريق من أبناء المدينة بموحى دلفي ذاته. والواقع أن قورينة أصبحت دلفي إفريقيا بما كان فيها من مواحٍ في مقبرة باتوس وبمغاورها المقدسة الموجودة في الصخور إلى الجنوب الشرقي من معبد أبولو. وتنقسم قورينة الإغريقية إلى قطاعين أحدهما يشغله معبد أبولو والآخر على رأس التلة المشرفة على المعبد وتشغله الأبنية العامة الرئيسية أو المركز الشعبي في المدينة. وقد كان من بين تلك الأبنية المنازل والمتاجر التي كانت تمتد شمالاً حتى حافة الصخور المشرفة على معبد أبولو. والآثار القائمة في هذا القطاع الآن تعود إلى العهد الروماني لأن الآثار الإغريقية اختفت نتيجة للاندثار وإعادة البناء من جديد عبر العصور التاريخية المتلاحقة.

معبد أبولو الإغريقي (زيوس الروماني فيما بعد):

كان معبد أبولو في البداية يشمل المعبد نفسه والمذبح والنافورة الخاصة بطقوس التطهير. ومع مرور الزمن، واستجابة لمتطلبات العصور المختلفة، نشأت حول هذا المعبد معابد أخرى كثيرة. وكان المدخل الأصلي لمعبد أبولو يسير مع الوادي في الجنوب الشرقي، وهو الطريق المقدس الذي كان يفضي إلى ساحة المعبد بوساطة البوابة الإغريقية بروبيلايا (Propylaea) من ناحية وبوساطة المدخل الحالي في الشمال من الناحية الأخرى وكانت منطقة المعبد جميعها محاطة بالصخور من الجنوب وبالجدران من الجهات الثلاث الأخرى. وإلى حرم أبولو هذا كانت تهرع الآلاف المؤلفة من الليبيين والأفارقة المتأثرين بالحضارة الإغريقية بالإضافة للإغريق أنفسهم، وكان عامتهم يقومون بطقوس الغسل المقدس في صفوف الحياض القائمة في القسم العلوي، بينما كان علية القوم يقومون بالطقوس المماثلة في المغاور

الأرضية التي ما زالت معرفتنا عنها محدودة. ولكنهم جميعاً كانوا يبتهجون ويستنيرون بأداء العبادة لإلههم الكبير أبولو، مؤسس المدينة وراعيها، كما انهم يستشعرون الراحة والطمأنينة لمجرد دخولهم رحابه المقدسة.

واستمرت العبادة في هذا المعبد على ما كانت عليه حتى في العهد الروماني عندما أدخلت عليه تعديلات كثيرة كان من جملتها إقامة الحمامات الكبرى في عهد الإمبراطور تراجان (98 – 117 م) وذلك في أعقاب ما حل به من حرق وتدمير وتخريب أثناء الثورة اليهودية (115 – 117 م). ولقد دلت النقوش المكتشفة في آثار قورينة على أن هذا المعبد، والأبنية الأخرى، والمدينة بصفة عامة لحقتها أضرار بالغة ولم تستكمل الإصلاحات الرئيسية فيها قبل (172 – 175 م) عندما كانت قورينة قد تمتعت لبضع سنوات باسم متروبولس بمعنى العاصمة بدلاً من اسم بولس «Polis» أي المدينة فقط[92].

ولكن نهاية هذا المعبد الزاهر لاحت للأنظار بعد أن أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للبلاد في منتصف القرن الميلادي الرابع مما أدى إلى تحريم الديانات الوثنية، فأصبح هذا المعبد مهجوراً. ولم تلبث غارات القبائل الليبية المتتالية وغزوات الجراد أن قضت على موارد قورينة الزراعية. وتلا ذلك زلزال عظيم صدع المدينة والمعبد؛ فكان نذيراً باندثار الديانة القديمة وغرق المعبد في عالم النسيان. وبشيراً بانبلاج نور الإسلام في ربوع ليبيا والشمال الإفريقي بأسره.

مركز المدينة الشعبي:

لا تزال ترى على الرابية المشرفة على معبد أبولو آثار القطاع المدني من قورينة فهنا ميدانها الرئيسي، ومجلسها بقاعته العامة، والمباني العمومية الأخرى ومقبرة باتوس، مؤسس المدينة. وهنا كانت المتاجر والشوارع والمسارح، كما ان المحاكم كانت تنعقد في الباسيليكا (Basilica) الكبيرة المتصلة

92- Papers of the British School at Rome, Vol.XXVI, p. 33, article under the title “The Temple of Zeus at Cyrene”, by R.G. Goodchild, J.M. Reynolds and C.T. Herington, London, 1958.

بالفورم (Forum) الذي كان قد أقامه سوفيناس بروكيولس (Sufenas Proculus) في القرن الميلادي الأول. وتنتشر مباني السكن في أماكن متعددة وهي تمتاز بأرضها المبلطة بالرخام وبزخارف الفسيفساء. وأبرز تلك المنازل هو منزل جيسون ماجنوس (Jason Magnus). ولكن تغيرات كثيرة طرأت على هذه المباني عبر العصور التاريخية التالية لإقامتها. فقد أقام الرومان منازل على أنقاض منازل الإغريق وتلاهم الرومان الشرقيون أو البيزنطيون فأقاموا منازلهم على أنقاض منازل أسلافهم الغربيين.

وإلى الشرق من شحات الحالية تقوم أنقاض معبد كبير للإله زيوس، وهو من مخلفات القرن الخامس قبل الميلاد. وقد كان على جانب كبير من العظمة يؤهله لمنافسة أي أثر آخر في بلاد اليونان نفسها. وإلى الشرق من هذا المعبد كان يقع الملعب الكبير الذي يجري فيه سباق الخيل.

وكان يطل على المدينة جميعها الأكروبولس أو القلعة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من شحات الحالية. وقد استخدم البطالمة في عهدهم هذه القلعة مقر الحرس من جنودهم المصريين والمرتزقة من أجل إخضاع الأهالي. وليس من قبيل الصدفة أن الإيطاليين اختاروا هذا الموقع نفسه ليكون قلعة لهم أثناء احتلالهم لليبيا؛ ذلك أن هذا الموقع هو عبارة عن نقطة استراتيجية مهمة يمكن لقوتها المتمركزة فيها من السيطرة على المنطقة المجاورة لها.

مفتاح مخطط معبد أبولو وملاحظات على أهم الآثار:

1- المدخل الرئيسي:وهو مدخل حديث ولكنه أقيم قرب موقع بوابة قديمة كانت تتفرع منها الطرق إلى أبولونيا والشمال.

2- الطريق المقدس: وكان الحجاج يسلكونه إلى المعبد قادمين عن طريق الوادي من الجنوب الشرقي. وكان يقوم على شمال الحجاج القادمين جدار عالٍ يستر مكان الأسرار. وكان هذا الطريق ينتهي بهم إلى السطحية العليا (28) أو يدورون عند نهايته إلى اليمين متجهين نحو معبد أبولو عن طريق البوابة الإغريقية (3) (Propylaea). وقد مدت هذه الطريق فيما بعد

إلى البوابة الرومانية (6). ولكن شيدت عليها في فترة لاحقة الحمامات الصغرى وإلى الشمال الشرقي من الطريق المقدس حفر مجرى في الصخر لا يزال يحمل مياه المطر إلى الوادي.

3- البوابة الإغريقية: هذه البوابة التي أعيد نصبها ذات أعمدة دورية قد تكون من مخلفات العصر الهلينستي ولكن نقوشها تشير إلى أنها ترجع إلى تاريخ أقدم من ذلك العصر. وربما كانت قد هدمت قبل تشييد البوابة الرومانية رقم (6).

4- معبد أفروديت (فينوس): معبد هذه الإلهة يرجع إلى تاريخ قديم ولكن بناءه جدد في العصر الهلينستي وهذه الإلهة هي إلهة الحب والجمال والزواج وحماية البحارة وإلهة الحرب.

5- معبد القادة الثلاثة (Strategeion): أقيم هذا المعبد تكريماً لأبولو وتخليداً لانتصار ثلاثة من القادة في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد نقشت أسماؤهم بالإغريقية على إفريزه ويذكر النص المنقوش فوق الباب أن سوفيناس بروكيولس أعاد بناء هذا المعبد وكرسه للإمبراطور تيبيريوس (Tiberius) (14 – 37 م.). وقد أعيد بناء هذا المعبد وسقفه.

6- البوابة الرومانية: أقيمت في العصر الروماني ورممت في عهد هدريان (117 – 139 م.) إثر ما أصابها من تلف في الثورة اليهودية. ولعل هذا هو الوقت الذي مدت فيه الطريق المقدسة إلى هذه البوابة ذات الأعمدة الكورنثية.

7- النافورة الهلينستية: ويقوم عليها سقف يرتكز على أعمدة دورية صغيرة وتظهر عليه آثار الدّهان.

8- معبد هادس (Hades-Pluto) أحد أخوة زيوس: وقد كان هادس إلهاً حزيناً عبوساً يطبق العدالة الصارمة على مملكته في عالم الأموات السفلي الذي كان يشمل النار. ويظهر على أحد أعمدة هذا المعبد نقش يشير إلى أن المعبد رمم في أواخر القرن الثاني أو الثالث للميلاد.

9- معبد بيرسيفون (Persephone = Proserpine): كانت بيرسيفون زوجة لهادس وابنة لديميتر (Demeter) إلهة الحبوب. ولذلك فإن الإلهة بيرسيفون كانت ذات طبيعة ثنائية فهي ربة الأموات وفي الوقت ذاته ربة الخصوبة. ومعبدها المقام بجوار معبد زوجها بني في العصر الروماني ولكن على أساس قديم.

10- المعبد الصغير لأبولو: على هذا المعبد نقش ينص على أن بناءه جدد على يدي جيسون ما جنوس في أواخر القرن الميلادي الثاني. وجيسون هذا كان مواطناً بارزاً وثرياً كما أنه كان كاهناً لأبولو.

11- معبد أبولو – موساجيتس (Apollo – Musagetes): هذا معبد آخر لأبولو حيث كان يعبد بوصفه زعيماً لإلهات الفنون التسع (Muses) كإلهة الموسيقى وإلهة الشعر... الخ. وقد أعيد بناء هذا المعبد في العصر الروماني.

12- عمود براتوميدس (Pratomedes): وهو عمود تذكاري يرجع تاريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ويقال إن الأوراق التي تزين قاعدته هي أوراق نبات السلفيوم وإن كانت أشبه بأوراق الأكانثوس العادي.

13- النمفية أو نافورة الحوريات (Nymphaeum): يرجع تاريخها إلى القرن الميلادي الثالث وعليها قطعة منحوتة تمثل حورية وهي تصارع الأسود.

14- معبد أبولو: هذا هو أقدم معبد في قورينة. وهو النواة التي نشأ حولها حرم أبولو. وما زال أساس المعبد الأول الذي بني في القرن السابع قبل الميلاد موجوداً كما أن أعمدته لا تزال تشاهد مطروحة لتكوّن أساس مصطبة هذا المعبد عندما أعيد بناؤه فيما بعد. وقد حرق هذا المعبد في الثورة اليهودية ثم أعيد بناؤه خلال القرن الميلادي الثاني. والآثار التي تشاهد اليوم إنما هي آثار هذا البنيان الروماني الأخير الذي جاء نسخة عن البناء الدوري السابق. وقد حول هذا المعبد في العهد البيزنطي إلى كنيسة مسيحية. والنقوش المحفورة على جانبي مدخله هي قوائم بأسماء كهنة أبولو في أيام

الرومان. وقد اكتشـف تمثال لأبولو في هذا الموقع سنة 1861 م. وهو الآن في المتحف البريطاني. وتبدو على شظايا المعبد آثار الدهان الأزرق مما يشير إلى أن الإغريق بشكل عام كانوا يدهنون أبنيتهم.

15- مذبح أبولو: يقوم هذا المذبح أمام المعبد. وكانت المذابح في الأزمنة القديمـة تقام خـارج المعابد حيـث تجري الاحتفـالات الدينيـة. ومذبح أبولو الـذي يعتبر نموذجـاً ممتازاً للمذابـح كان بناؤه قد أعيد في القـرن الرابع قبل الميـلاد وصفح بالرخام الذي وجد مسـتعملاً في تبليـط الحمامات الرومانية الصغـرى التي أقيمت فيمـا بعد. ولا يزال جزء من المصـرف الذي كان يحمل دماء الأضحيات بعيداً موجوداً في نهاية المذبح الشمالية. وهنالك بين المذبح والمعبـد حجر كبير فيه بقايا من الحلقة المعدنية التي كانت الأضحيات تربط فيها.

16- معبـد آرتيميس (= ديانا) (Artemis - Diana): بني هذا المعبد فـي القرن الخامس قبـل الميلاد مكان معبـد بدائي قديم. ثم أعيـد بناؤه بعد تدميـره في الثـورة اليهودية. وكانت آرتيميس هذه أخـت أبولو وربة العذرية والولادة، وحامية الصيد. وهي ترتبط بالنسـاء إلى حد ما ويبدو أنها أصبحت فـي قورينة نظيرة للإله أبولو. فكان النسـاء يضحـين لها تماماً كما يضحي الرجال لأبولو.

17- مذبـح آرتيميس: وكان يؤدي نفس وظيفة مذبح أبولو. ومازال درجه قائماً. وهو يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

18- معبد ديوسكوري (كاسـتر + بلُّوكس) Disoscuri (Caster & Pollux): وكان مكرسـاً للأخوين المذكورين. ابني ليدا (Leda) وأخوي هلين طروادة (Helen of Troy) وليس مؤكداً أن هذين الأخوين كانا إلهين خفضت مرتبتهمـا إلى مرتبة الأبطال أو بطلين رفعا إلى مرتبة الآلهة. ولكنهما كانا حاميـين للبحـارة مما جعل أهـل جزيرة ثيرا يقبلـون على عبادتهمـا. أما في قورينـة فكانا يعتبران جالبي نبات السـلفيوم. والبناء الحالي لهذا المعبد هو بناء روماني لواحدٍ من أقدم معابد قورينة.

19- معبد هيكاتي (Hecate): كانت هيكاتي تعبد في قورينة كوصيفة لابنـة عمها آرتيميـس. ولقد أضيفت على هذه الإلهـة صفات مختلفة في أوقات مختلفة. وكان من بين تلك الصفات اعتبار هذه الإلهة ملكة السـحر والأشباح. وقد أقيم هذا النعبد تخليداً لذكرى انتصار الإمبراطور تراجان على الداسيين (Dacians) الذين كانوا يسكنون رومانيا الحالية.

20- قاعة المجلس: وهي قاعة تلحق عادة بمعابد أبولو في بلاد اليونان.

21- معبد مجهول: اكتشفه سميث وبورتشر (Smith & Porcher) سنة 1861م.

22- جدار نيكودامـوس (Nikodamos): يكوّن هذا الجدار الحد الغربي للحرم المسـمى باسـم بانيه وقد أعيد بناؤه في القرن الميلادي الثالث ضمن حركة ترميم عامة لهذا الحرم.

23- منزل روماني: يرجع تاريخه إلى القرن الميلادي الخامس.

24- التريكلينيوم أو كهـف العبادة (Triclinium): هذا كهف كانت فيـه مقاعد حجرية. وتـدل بعض طقوس أبولو وأحد النقـوش على أنه كان خاصاً بستعمال الكنهة فقط.

25- معبد إيزيس (Izis): وهي إلهة مصرية كانت عبادتها شـائعة في الشرق ثن انتشرت بين الرومان. ويدل أحد النقوش على أن معبدها هذا شيد من عائدات أبولو في القرن الميلادي الأول.

26- نافورة أبولو: هذا النبع الذي قيل إن لمياهه ميزات شفائية استخدم في طقوس الغسل والتطهير الخاصة بعبادة أبولو. وهو متصل أيضاً بالحورية قورينة أو سيرين. وقد اشتهر عند الإغريق أن الحوريات كانت أرواحاً مائية. ولا يزال يرى في جانب الخزان المجاور للنافورة ما يشير إلى وجود مقاعد كان الزائرون للنافورة يجلسون عليها من أجل الأستشفاء أو التطهر.

27- طريـق باتـوس: طريـق صخـري يفضي إلـى القسـم العلوي من المدينة.

28- سـطحية المعبد العليا: تركت السـطحية العليـا من حرم أبولو خاليـة من المبانـي وذلك حتى تكون سـاحة رحبة تتسـع لجمهـور الحجاج للتجمـع فيهـا. وهنالـك جدار منخفـض جنوبيهـا يحجز قاعـات العبادة القائمة في الركن الجنوبي الشـرقي، والممر المتصـل بها والمحفور في الصخر، وصفّـاً طويلاً من حياض المـاء التي كان الحجاج يقومون بالاغتسـال المقدس منهـا. وتظهر هنا أيضاً الحفر التي كانت قطـع الرخام والحجارة الأخرى تحرق فيها لصنع الجير اللازم لبنايات القرنين الخامس والسادس للميلاد.

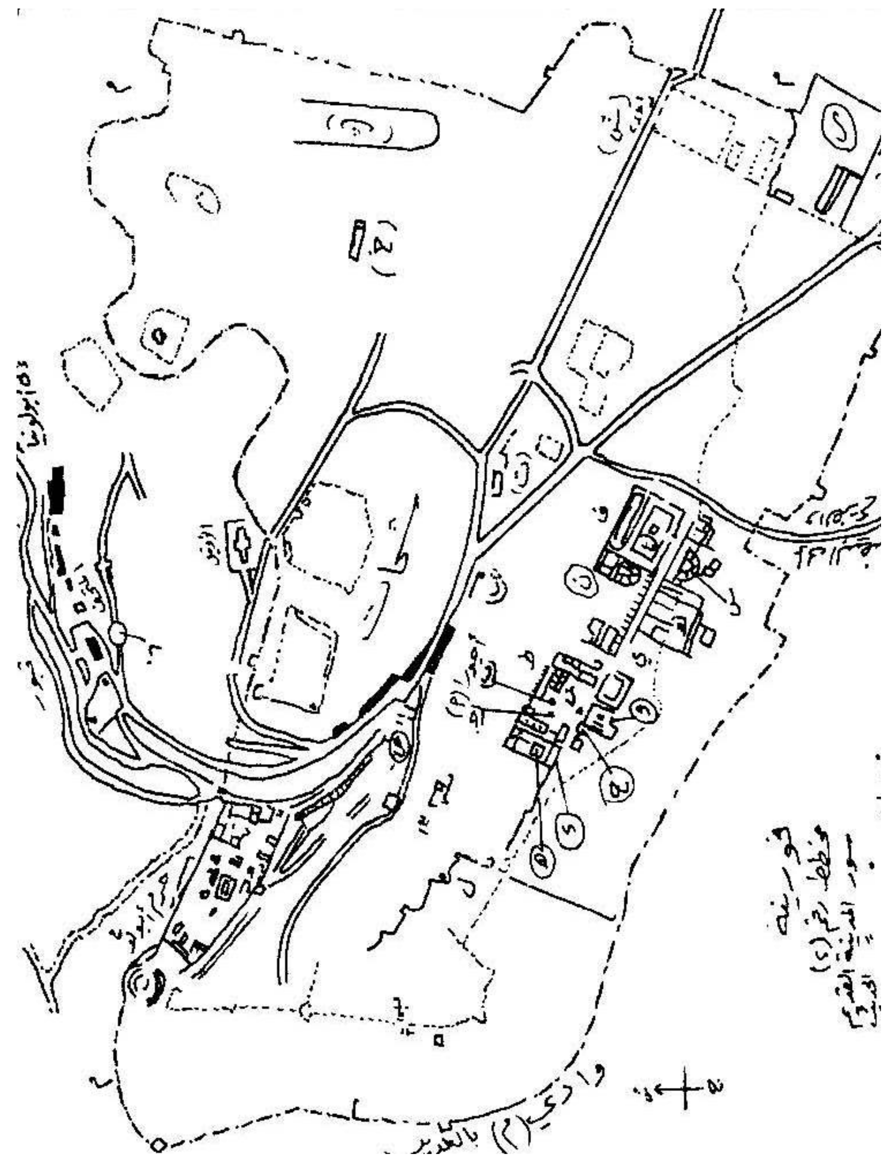
29- الجدار الاسـتنادي: وكانت الغاية منه المحافظة على تربة سطحيات حرم أبولو، كما أنه كان يشـكل جزءاً من سـور المدينة في الوقت ذاته. وكان يقوم على طول السطحية صف من الأعمدة الإغريقية.

الحمامات:

في نقش لا يزال موجوداً قرب الطريق بجوار المدخل الرئيسـي أن الحمامات الأولـى، وكانت عبارة عـن بناية واحدة في الأصل، شـيدت للإمبراطور تراجان سـنة 98م. ولما كانت قد دمرت كغيرها من المرافـق في الثورة اليهودية فقد أعيـد بناؤهـا بإيعاز من الإمبراطـور هدريان سـنة 119 م. وهنالك نقش في القاعة الكبرى يسجل هذه الذكرى ويتفق تاريخه مع صدور المرسوم الذي منع الاستحمام المختلط. ولعل ذلك هو الذي أدى إلى إقامة وحدتين منفصلتين من الحمامات: الوحدة الكبرى (30) للرجال، والوحدة الصغرى للنساء في الشرق (31).

30- الحمامـات الكبـرى: تدل بقايا الرخام والفسيفسـاء على ما كانت عليـه هذه الحمامات من فخامـة عندما كانت تتحلى بكثيـر من المنحوتات التي تم اكتشـاف بعضها وعندما كانت بمثابـة نادٍ يلتقي فيه رجالات المدينة الرومانية:

أ- القاعـة الكبـرى: لاحـظ طبقتي الفسيفسـاء المسـتخدمتين في مصاطـب 98 م. و 119 م.. والمغسـلتين اللتين قدمهما جيسـون ماجنوس ونقشت عليهما الكلمات: «على حسابه الخاص».



ب- مغاطس للماء البارد.

ج- غرف لتغيير الملابس.

د- بناء منفصل ربما كان مكتبة. أعيد بناؤه. لاحظ الفسيفساء.

ه- كاليداريوم (Calidarium): أو الغرفة الحارة: لها مصاطب مرتفعة وأنابيب في الجدران يدور فيها الهواء الحار الآتي من الموقد. وتتصل بممر مباشر مع (أ) حتى لا يضيع الهواء الحار.

و- الموقد.

ز- لكونيكم (Laconicum): أو غرفة البخار الحار مع مغاطس للماء الحار في الطرفين الجنوبي والغربي. كانت تحمى كما في حالة (هـ).

ح- غرفة حارة أخرى، قسمت فيما بعد إلى إثنتين.

ط- آثار دائرة الأعمدة التي كانت جزءاً من بناية تراجان.

31- الحمامات الصغرى: أعيد بناؤها في وقت متأخر من العصر الروماني عندما امتد مدخلها الجنوبي فوق الطريق المقدس. ولا تزال ترى بها الغرف الحارة بينما تظهر دورة مياه (ي) في طرفها الشرقي وهي من النوع الذي كان يكسح بالماء؛ لاحظ مقاعد الأطفال. وفي القرن الميلادي الخامس بدأت الحمامات الكبرى تهجر جزئياً وصارت الحمامات الصغرى تكفي لعدد السكان الذي تضائل. وهذه هي المرحلة التي استخدم فيها رخام مذبح أبولو (15) في تبليط المصاطب.

32- المسرح والمسرح المدرج (Theatre & Amphitheatre):

هذا المسرح الروماني لحقت به أضرار بالغة في ثورة اليهود ثم أعيد بناؤه كمسرح مدرج صغير. والفرق بين المسارح الرومانية والمسارح الرومانية المدرجة هو الصنف الأول كان به قاعة استماع وخشبة مسرح (Stage) وراء منتصف القطر يستند إلى بناء مرتفع للمناظر، وكان يستخدم لعرض التمثيليات. أما الصنف الثاني أي المدرج فكان بيضوي الشكل أو، كما في حالتنا هذه، دائرياً. وكانت تجري في القسم الأوسط منه الاستعراضات التي

يحارب فيها المتصارعون بعضهم بعضاً أو يصارعون الوحوش الضارية، أو يلقى بالمسيحيين والأشرار وأسرى الحرب فيها ليجابهوا تلك الحيوانات المفترسة. وبوسعك أن ترى أساس خشبة المسرح الذي كانت مصطبته من الخشب ومن ورائه الأبنية المستخدمة للمناظر؛ وهو بناء كان يتألف من عدة طبقات وكان يرتفع بقدر ارتفاع قاعة الاستماع ويمثل مقدمة قصر فخم بمداخله وشرفاته التي كان يستعملها الممثلون. كما أنه كان مزيناً بالأعمدة والتماثيل. وفي الوقت الذي كان فيه هذا البناء يحجب السهل الواقع إلى أدنى المسرح حتى لا يرى إلا من خلال فتحات الأبواب، فإنه كان يساعد أيضاً على تقليل الصدى وبالتالي على وضوح الصوت.

وفي المرحلة التي حول فيها هذا المسرح إلى مسرح مدرج أزيل منه موقع خشبة المسرح وبناء المناظر ثم أكملت دائرته. وبعد ذلك أزيلت الصخور وتم إحداث ممر دائري حول الحلبة (Arena) يدخل إليها منه اللاعبون. ثم وضعت مقاعد جديدة لا تزال ترى قائمة على أصول المقاعد القديمة. وخلافاً للعادة لم يكن ممكناً بالنسبة لهذا المدرج أن تمتد المقاعد حول الحلبة جميعها لأن الانحدار الشديد في الأرض في الجانب الشمالي حال دون ذلك.

وكثيراً ما سمي هذا المسرح خطأ بالمسرح الإغريقي لأنه يشابه المسارح الإغريقية في أنه منحوت في سفح تلة، بينما كانت المسارح الرومانية تقام على مواقع منبسطة، وكانت قاعة الاستماع الإغريقية أكثر من نصف دائرة، كما ان النشاط كان يجري بصفة رئيسية في وسطها حيث كانت الأوركسترا (Orchestra) تأخذ أماكنها أمام بناء منخفض للمناظر لم يلبث أن نشأت أمامه تدريجياً خشبة المسرح. ولقد استمر الممثلون يستخدمون مكان الأوركسترا هذا بينما كانت توضع فيه في المسارح الرومانية مقاعد كبار المسؤولين. ولا بد أنه كان في سيرين مسرح إغريقي، ومن المرجح أنه كان في موقع هذا المسرح ذاته. ولكن المسارح كانت تخضع للتعديل والتغيير من عصر لعصر لكي تناسب الأنواع الجديدة من الدراما. وإذن فإن من غير المعقول أن يكون المسرح الإغريقي في سيرين ظل دون تغيير رغم بقاء سيرين أكثر من سبعة قرون في يد الرومان الغربيين والشرقيين.

مفتاح مخطط مركز المدينة الشعبي وملاحظات عليه:

أ- الأجورا (Agora):

وهي الميدان الرئيسي في أية مدينة إغريقية وتناظر الفورم في المدينة الرومانية. وكانت تقوم حول الأجورا المباني المدنية الرئيسية كما ان الأسواق ربما كانت تنعقد فيها. وكان يقوم على جنباتها عدد كبير من المعابد التي لا تزال بقايا أسسها شاهدة على وجودها. وبالإضافة لذلك فقد كانت الأجورا تزين بالتماثيل المختلفة.

ب- ضريح باتوس الأول:

يرجع هذا الضريح إلى القرن السابع الميلاد قبل الميلاد عندما كرّم باتوس الأول، مؤسس المدينة، تكريماً خاصاً فسمح بدفنه في الميدان الرئيسي في المدينة. ونجد عدداً من الدرج يؤدي إلى غرفة الضريح المنخفضة كما نجد على أحد الجانبين قاعدة تمثال بينما نجد مذبحاً من الجانب الآخر. واهذا المذبح مصرف تتسرب منه دماء الأضحيات. وبوسعنا أن نلمح الترتيبات التي كانت تتعلق بغسل مصطبة الغرفة. وكان ضريح باتوس هذا يستخدم كموحى.

وإلى الجنوب الغربي منه يقوم الضريح الآخر وهو ضريح دائري صغير.

ج- ضريح أوناماستوس (Onamastus):

أوناماستوس كاهن لدلفي، مركز عبادة أبولو في شمال بلاد اليونان، كان معاصراً لباتوس الأول وقدم لسيرين لينظم الحياة الدينية فيها. ولا تزال بعض تشريعاته التي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد منقوشة حتى اليوم على الرخام. وتتجلى أهمية أوناماستوس في شرف موقع ضريحه الذي استخدم كموحى أيضاً.

د- معبد ديميتر (الأم العظمى):

لا تزال هنا آثار رخامية لبوابة تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وفي الداخل جزء من تمثال للإلهة وهي جالسة. وقد كانت ديميتر تعرف باسم سيرس (Ceres) كما انها ربة الحبوب التي سميت باسمها (Cereals)

وأم بيرسيفون.

ه- الجمناسيوم (Gymnasium):

بناء هلّينستي أقيم حول فناء (Palestra) كان يستخدم لإجراء التمارين. وكان مدرسة لعلية شباب الدولة تحتل مكانة مرموقة بينها. وكان يدير الجمناسيوم واحد من كبار الموظفين في المدينة. وفي بعض الأحيان كانت المرأة تشغل هذا المنصب كما ان الفتيات – على نحو ما كان معروفاً في اسبارطة – كان يسمح لهن بالالتحاق بهذه المؤسسة.

و- البريتانيوم (Prytaneium):

كانت هذه عبارة عن المركز الإداري للمدينة. وكان لها ممر كورنثي معمد ومسقوف. وهي مبنية حول فناء مما يجعلها أشبه بمنزل خاص. وعلى ذلك، ولوجود الشعلة المقدسة فيها. فإنها كانت تقوم كرمز لكونها بيتاً للأمة. أما المكان الذي كان يحتفظ فيه بالشعلة المقدسة. فربما كان هو تلك الفتحة التي تشبه المحراب إلى الشرق من الطابق الأسفل وإلى الجنوب من الفناء.

وكان موظفو مجلس المدينة يعيشون ويعملون في هذا البناء. كما ان الزوار وذوي الامتيازات من المواطنين كانوا يتناولون وجبات طعامهم هنا على حساب الدولة. وكان المجلس البلدي (Municipium) للمدينة خلال القرنين الأول والثاني من العصر الروماني يضطلع بمهام حكم المدينة وريفها من هذا المكان. ولكن الموظفين الإمبراطوريين انتزعوا منه تلك السلطة فيما بعد.

ويعود تاريخ هذا البناء إلى أواخر العصر الإغريقي كما تظهر فيه بعض الإضافات الرومانية. وإلى الشرق من هذا البناء يقوم بناء آخر اكتشف فيه مؤخراً رصيف من الفسيفساء رسم عليه رأس مدوزة (Medusa)[93].

ز- النصب التذكاري البحري:

93- مدوزة هي إحدى الغرغونات «Gorgons» الثلاث اللواتي كانت شعورهن من الأفاعي وكان كل من تقع عيناه عليهن مباشرة يتحول إلى حجر. وتروي الأسطورة الإغريقية كيف نجح بيرسيوس «Perseus» في قتل المدوزة في ليبيا وحمل رأسها إلى أثينا.

تمثيل لسفينة حربية معاصرة للبناء الذي ربما كان قد شيد في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد تخليداً لذكرى انتصار بحري. وقد أقيم على مقدمة البناء – السفينة شكل مجنح لإلهة النصر اكتشف جسمه مؤخراً.

ح- الكابيتول (Capitolium):

بناء يرجع تاريخه إلى أواخر العصر الهلينستي وبه أربعة أعمدة دورية من الرخام الأبيض. وقد حوله الرومان إلى كابيتول وهو معبد كان يشغل المكان الرئيسي في الفورم في معظم المدن الرومانية ويعبد فيه آلهة الإمبراطورية جوبيتر (Jupiter) وجونو (Juno) ومنيرفا (Minerva). وقد تم التعرف على هذا المعبد بعد أن اكتشف تماثيل لتلك الآلهة في موقعه. وقد تم التعرف على هذا المعبد بعد أن اكتشف تماثيل لتلك الآلهة في موقعه. أما النقوش الإغريقية التي عليه فهي تسجل شكر المدينة للإمبراطور هدريان على مساعدته في إعادة تعميرها بعد أن خربها اليهود في ثورتهم. وبجوار الكابيتول من الجنوب الغربي توجد آثار بناء المحكمة.

ط- ممر أوغسطس المعمد:

لا يزال عمودان إيونيان كبيران يدلان على هذا الممر المعمد الذي كرس للإله زيوس وروما والإمبراطور أوغسطس. وقد أضيف فيما بعد بعض المتاجر على الأرض المنخفضة الواقعة إلى الشمال من هذا الممر.

ي- شارع كارياتيدس (Caryatides):

فتح هذا الشارع حوالي القرن الرابع ما بين الأجورا في الشرق إلى فورم بروكيولس. وفي مطلع العصر الروماني أقيم على موازاته من جهة الشمال جدار مزخرف بأشكال قائمة على قواعد وحاملة الكرنيش على رؤوسها. وقد سقطت كل تلك الأشكال على وجوهها وأصبح من الصعب التعرف عليها.

ك- منزل جيسون ماجنوس (Jason Magnus):

هذا منزل فخم كبير يبدو أنه يخص تيبريوس كلوديوس جيسون ما

جنوس (Tiberius Claudius Jason Magnus). كاهن أبولو في نهاية القرن الميلادي الثاني. وهذا المنزل عبارة عن منزلين عُدلا ودمجا ليكونا منزلاً واحداً. وكانت في المنزل الكبير القائم على موقع مرتفع من الغرب غرف الاستقبال التي بنيت حول فناء تحيط به الأعمدة. وفي غرفة الاستقبال الكبرى في الطرف الجنوبي بقايا رصيف فخم من الرخام الملون بينما تقوم خارجها تماثيل إلهات الفنون التسع. وفي غرف وممرات أخرى مصاطب من الفسيفساء الجيدة وبقايا رخام كانت الجدران مصفحة به. وزخارف بالدهان.

أما المنزل الصغير في الناحية الشرقية. وهو مقام كذلك حول فناء. فقد كان مخصصاً لاستعمال الأسرة. وغرفتاه الغربيتان لهما مصاطب ممتازة من الفسيفساء التي لا تزال في حالة جيدة: ففي الجنوبية منهما. وهي ربما كانت حجرة نوم. أحسن مصطبة من الفسيفساء رسمت في وسطها صورة إلهة البحر وفي زواياها أشكال ترمز لفصول السنة الأربعة.

وقد دمجت في هذا البناء ثلاثة معابد صغيرة كانت إلى الشمال من المنزل الكبير. وظل المعبد الغربي منهما يحتفظ بطابعه الديني كمعبد خاص لصاحب المنزل فقد وجد فيه رصيف من الفسيفساء نقش عليه «إلى الرب العظيم هرمس» (Hermes) من إنفاريوس (Invarius). العبد الذي طالما صلى من أجل سلامة وانتصار تيبيريوس كلوديوس جيسون ماجنوس.

ل- الأكروبولس أو القلعة (Acropolis, Citadel):

تقوم هذه القلعة على أعلى نقطة في التلة وهو موقع لا بد أن المستوطنين الأول اختاروه كموقع استراتيجي قوي. والجدران الباقية عبارة عن خليط من البنيان وترجع لأقدم عهد للإغريق في هذا المكان. والآثار الماثلة حالياً هي في معظمها هليّنستية وترجع للفترة التي أكثر فيها ماجاس والبطالمة من البنيان. ويدل أحد النقوش أن الجانب الشرقي أعيد بناؤه سنة 12 م. وقد أقيم في الجانب الشمالي فيما بعد معبد صغير لإيزيس مستنداً إلى جدران القلعة. وقد وجد في هذا المعبد تمثال صغير لهذه الإلهة من الرخام المدهون.

م- أسوار المدينة:

تمتد أســوار المدينة مســافة كبيرة وإن كانت آثارها الباقية ليســت ذات ارتفــاع يذكر. وبالإمكان تتبع مواقع الســور في معظــم امتداده. وقد خضع هــذا الســور لتغييــرات وتعديلات كثيــرة عبر القــرون بححيــث أصبح من الصعــب تعيين تاريخ له. والأجزاء الظاهرة منه هي في معظمها من العصر الهلينستي وإن كان الرومان كثيراً ما جددوا وشيدوا خلال عصرهم.

ن- المسرح الواقع غربي فورم بروكيولس:

حشــر هذا المســرح بصورة مكشــوفة على بقايا الفورم. وهو من النوع الرومانــي المعتاد وبه صفوف من المقاعد التي يتــم الوصول إليها من خمس ممــرات مســقوفة تتفرع من ليوان حــول محيط قاعة الاســتماع وتمتد حتى تقترب من الصف الأوســط الكائن على مســتوى الأرض ثم تنحدر إلى صف آخر دون مستوى الأرض وإلى مكان الأوركسترا الذي لم يتم كشفه بعد.

س- المسرح الواقع إلى جنوب فورم بروكيولس:

ربمــا كان هذا المســرح أحدث المســارح الثلاثة في ســيرين ولعله قد بني في القرن الميلادي الثالث كبديل للمســرح رقم (32) الذي ورد ذكره ســابقاً، في أعقاب تحويل الأخير إلى مســرح مدرج. وقد أقيم هذا المسرح على أسس قديمة ولم يبق منه إلا الجزء الســفلي. ولعل ســبب تلاشــي بقية بنيان هذا المســرح يرجع إلى الحفــرة الموجودة في وســطه والتي حرقــت فيها معظم حجارته لتحول إلى جير في عصور لاحقة.

ع- السيزاريوم (Caesareum) وفورم بروكيولس:

يرجع الاســم الأول الذي يشــير إلى عبــادة عدة قياصرة. للقــرن الميلادي الثانــي. أما الاســم الثاني فإن نقوش الدكة الجنوبية تشــير إلى أن الذي قام ببنائه هو ســوفيناس بروكيولس الذي عاش في مطلــع القرن الميلادي الأول. أما طابع البناء فهو هليّنســتي من فترة ما قبل الســنة السادســة للميلاد. وهي السنة التي أدخلت فيها تعديلات على هذا البناء إن لم يكن البناء كله قد جدد.

إن هــذا البناء بمــا يحيط به من أعمدة دورية. وبجداره الخارجي البســيط المتــوج بإفريــز وكرنيش دوري يثير في النفس إعجابــاً بعظمته خاصة عندما يتذكــر المرء الفورم الجديــد في لبدة. الذي لا بد وأن يكون قــد تأثر بهذا البناء بالرغم من أنه متأخر عنه زمناً ويرجع إلى نهاية القرن الميلاددي الثاني.

وقبــل أن يعيد الأثريــون الإيطاليون نصب هذا الأثــر كان معظم جدرانه وأعمدته وكل وســطه مغموراً تحت الجدران الرومانيــة المتأخرة التي تدل هي وفتحــات الرمــي الموجودة في الجــدران الخارجية على أن هذا البناء اســتعمل كقلعــة في القرنين الميلاديين الرابــع والخامس لصد هجمات القبائل البربرية التزايدة. وترجع الفســيفســاء الجذابة الموجودة في الزاوية الجنوبية الشــرقية إلــى الفترة التاريخيــة ذاتها عندما انتقــل كثير من المواطنــين إلى المناطق المحصنة حيث واصلوا الاهتمام بتجميل مساكنهم الجديدة.

وفي وسط هذا البناء توجد أسس معبد صغير كان قد كرس لعبادة الإله ديونيسوس (Dionysos) أي باكوس (Bacchus).

ف- الباسيليكا:

كان بناؤهــا قد أعيد في عهد الإمبراطور هدريان (117 – 138 م) وفيها مذبح له. وكانت تســتعمل كمكان يلتقي فيه التجــار ليتبادلوا المعلومات ويعقدوا الصفقات. كما ان القضاة كانوا يعقدون محاكمهم فيها.

ص- المنزل الذي به رصيف ديونيسوس (باكوس):

هذا منزل عادي متوســط الحجــم يرجع تاريخه إلة أواخــر القرن الميلادي الثانــي. وفيه بهوان مبلطان بالفســيفســاء كما ان إحــدى حجراته التي ربما كانت غرفة طعام تحتوي رصيفاً من الفسيفساء صور عليه ديونيسوس وهو يبحث عن حبيبته أريادني (Ariadne).

ق- برك الماء

هذه آثار برك رومانية كانت تستخدم لتجميع مياه الأمطار أو الينابيع.

ر- الخزان

أقيم في إحدى زوايا سور المدينة، وفيه حياض ماء مسقوفة بالحجارة. ويبدو أن كل المنطقة كانت مزودة بخزانات دائرية تستخدم لخزن الزيت أو الحبوب.

ش- كنيسة مسيحية

هذه البناية عبارة عن باسيليكا من ثلاثة أجنحة ترجع للقرن الميلادي الرابع أو ما بعده. وهي وإن كانت تشبه الباسيليكا المسيحية في طلميثة إلا أن فيها ما يدل على أنها كانت تستخدم لأغراض دنيوية.

ت- الجمناسيوم

الآثار الباقية هنا هي بعض الرخام وبعض الأعمدة الكورنثية وجدران من القرن الميلادي الثاني قد تشير إلى أن البناء هنا كان عبارة عن جمناسيوم.

ث- السيرك أو مضمار السباق (Circus or Hippodrome):

كان هذا عبارة عن ميدان روماني لسباق العربات. وكانت العربات المتسابقة تجري فيه باتجاه يعاكس عقرب الساعة حول جزيرة في وسطه.

خ- معبد زيوس-جوبيتر (Zeus-Jupiter):

تقوم هنا آثار أجمل معبد إغريقي في برقة، وهو معبد أقيم في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وكرس لزيوس، أبي الآلهة. (وكان الإغريق قد وصلوا بين إلههم هذا والإله الليبي آمون الذي يظهر رمزه على النقود المحلية بقرون كبش). وهذا المعبد يماثل في عدة وجوه المعبد الدوري لزيوس في أولمبيا ببلاد اليونان وفي عهد الإمبراطور كمودس أعيد بناء هذا المعبد من الداخل في نهاية القرن الميلادي الثاني وزينت جوانبه بأعمدة كورنثية. وهو مبني بالحجارة الصفراء التي تظهر عليها علامات حمراء من أثر النار. وفي أواخر القرن الميلادي الرابع تهدم هذا المعبد في أعقاب زلزال أصاب المنطقة. وقد اكتشف في هذا الموقع رأس تمثال لزيوس وهو نسخة عن الأصل القديم يرجع تاريخها إلى القرن الميلادي الثاني. وقد لوّن لكي يبدو وكأنه ينبض بالحياة.

مقبرة سيرين

إن القبور الموجودة حول سيرين كثيرة للغاية وقد قدر أنها تغطي مساحة تبلغ خمسين كيلومترا مربعاً. ولا غرابة في هذه إذا تذكرنا أنها تقابل الفترة الزمنية ما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الميلادي الخامس. وكان الإغريق والرومان على السواء يمارسون الحرق والدفن بالنسبة لموتاهم حتى وقت متأخر من العصر الإمبراطوري ولكن عادة الدفن غلبت عليهم تحت تأثير الشرق. وفي سيرين كان دفن الموتى ممنوعاً داخل المدينة فصار الإغريق يدفنون موتاهم في حقولهم خارج المدينة. وهذه القبور، وإن لم تكن قد استكشفت، إلا أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع هي:

1- لحود في غرف حفرت في الصخور تحت الأرض ويرجع بعضها إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

2- أضرحة معابد أو موسوليا وهي في الغالب هليّنستية.

3- موسوليا مستديرة، وهي من أواخر العصر الهلينستي وبداية العصر الروماني.

4- توابيت حجرية مفردة، وهي في الغالب رومانية.

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن نسجل النص الذي نقش على قبر الشاعر كليّماخوس وكان قد نظمه وأوصى بأن ينقش على قبره:

هنا يرقد سليل باتوس — Here lies the son of Battus

وقد كان يجيد معرفة فن الشعر.

He knew well the art of poesy

كما كان يعرف كيف يجمع في الموسم المناسب

And how in season to combine

بين ضحكة الصداقة وكأس النبيذ

Friendly laughter with his wine

ضواحي سيرين

تنتشر في كل المنطقة إلى الجنوب من سيرين وعلى مرتفعات الجبل الأخضر من الطرف الشرق لوادي الكوف شرقاً حتى (Giovanni Berta) بقايا آثار إغريقية وهلينستية ورومانية غربية وشرقية بعضها آثار مساكن وبعضها آثار طرق أو جدران استنادية أو تحصينات أو قبور أو برك ماء وقد استعملت الحجارة كمادة بناء في تلك المرافق. والذي يلفت النظر أن كل تلك المخلفات خالية من عنصر الزينة الذي يبدو أنه خصص للقبور فقط. وأهم المخلفات هي:

1- قصر بني قديم (Gdem) وهو عبارة عن قلعة ممتازة كانت تقوم على حراسة الطرف الغربي من وادي الكوف. ويعتقد أن هذه القلعة كانت بطلمية في الأصل ثم أيد بناؤها في العصر الروماني وعدل ورسم في العصر البيزنطي.

2- الصفصافة: إلى الشمال من الطريق بين مفرض سيرين وسفوة (Savoia) توجد بركة رومانية مسقوفة يبلغ طولها حوالي ثلاثمائة متر كانت تتجمع فيها مياه الأمطار الساقطة على الأرض الصخرية المجاورة والتي كانت قد مهدت بشكل أولي بحيث تسيل كل الأمطار الساقطة عليها إلى مصارف متعددة في جنبات البركة.

3- مغيرنس (Meghernes): فيها آثار متنوعة تشير إلى أنها كانت مستوطنة زراعية صغيرة. ويمكن للناظر أن يراها من سفوة إذا توجه إلى الجهة الشمالية.

4- الملودة (Limniadis): توجد هنا آثار مستوطنة زراعية رومانية الغاية منها عصر زيت الزيتون. وفيها آثار عدة مجموعات من المعاصر.

5- رأس الهلال (Naustathoms) يقع إلى الشمال من الملودة وهو مرفأ طبيعي جميل. وإلى الشرق من الطريق عدد من القبور من نوع أضرحة المعابد. وهي ترجع إلى العصر الهلينستي.

وأول ما تستنتجه من هذه المخلفات أنها دليل على كثرة المستوطنات في هذا القطاع الريفي الذي كان يعتمد في اقتصادياته على الزراعة وتربية المواشي. ومن المعروف أن معظم العنصر السكاني في تلك المستوطنات كان من الليبيين الذين تعلموا الكثير من عادات الاستقرار من المستوطنين الأجانب فصاروا يعيشون في مساكن ثابتة إلى جانب استمرارهم في سكنى الكهوف. ويعتقد أن العنصر الليبي كان يسكن المحوطات الصغيرة المنية من حجارة طويلة قائمة والتي نلاحظ وجودها خارج المستوطنات الأجنبية المجاورة لها. وكان سكان هذه المنطقة من الليبيين والإغريق ثم الرومان فيما بعد يعتمدون على مياه المطر التي كانت كافية لأغراض الزراعة والرعي طيلة الفصل الممطر (ستة أشهر) ويعتمدون في الفصل الجاف أي في النصف المتبقي من السنة على ما كانوا قد جمعوه من مياه المطر في الآبار والبرك وعلى مياه الينابيع؛ وكان ذلك كافياً لهم ولماشيتهم وللبساتين المحيطة بمساكنهم. وهم هنا لم يحاولوا إقامة مشروعات ري زراعية بل اقتصروا على الزراعة الشتوية التي كانت في معظمها تنحصر في زراعة القمح والشعير والعنب والزيتون وأشجار الفواكه. وتأتي في المرتبة الثانية بعد هذه الأصناف أنواع أخرى من الحبوب ثم الخضروات المتعددة وشتى أنواع التوابل والعقارات والزهور التي كانت تستخرج منها العطور. ولقد سبقت الإشارة إلى نبات السلفيوم وقيمته وفوائده المتعددة. ونذكر هنا أيضاً نبات الزعفران الذي كان ينمو بكثرة في هذه المنطقة والذي كانوا يستخرجون منه الأدوية والصباغ الأصفر. كما ان الإغريق والرومان كانوا يستخرجون منه بهاراً لا يغيب عن موائدهم. وإلى جانب هذه المنتجات الزراعية كانت المنطقة تنتج العسل بكثرة. كما كانت تصدر الكثير من الأصواف والجلود.

ويشير ما تبقى من خطوط تقسيمات الأراضي الزراعية إلى أنها كانت منهم قرية. وكان نظام توزيع تلك المزارع وتأجيرها أو تمليكها يتغير باستمرار فكان بذلك سبباً من أسباب الاضطرابات الكثيرة في المنطقة؛ ففي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد كان القسط الأكبر من الأراضي الزراعية قد تركز في أيدي البطالمة مما حول صغار الملاك من المزارعين إلى مستأجرين للأرض

التي كانوا يملكونها والتي أصبحت الآن ملكاً للملك البطلمي الذي كان يستولي على معظم إنتاجها. وعندما آلت برقة للرومان أصبحت الأراضي الملكية البطلمية ملكاً للحكومة الرومانية ثم ملكاً للتاج الروماني فصارت تؤجر للمضاربين من أصحاب رؤوس الأموال الاستغلاليين الذين لم يلبثوا أن أثبتوا أنهم أسوأ من سادة الأرض السابقين وصاروا يعتبرون الأراضي التي استأجروها ملكاً خاصاً لهم. وفي النصف الثاني من القرن الميلادي الأول أثبت التاج الإمبراطوري حقه في ملكية هذه الأراضي الزراعية من جديد وفرض المزيد من الضرائب عليها مما أضاف عبئاً جديداً إلى الأعباء التي كان صغار المزارعين ينوؤون بحملها، وأسهم في قيام الثورة اليهودية. وما أهلّ القرن الميلادي الرابع حتى كان معظم تلك الأراضي قد تكدس في أيدي كبار الملاكين الذين صاروا يستغلونها ويستولون على معظم انتاجها. وعند هذا الحد تتلاشى الزراعة المتقدمة التي كانت تعتمد على رأس المال والأساليب الزراعية العلمية. والجدير بالذكر أنه لم تكشف حتى الآن منازل ريفية كبيرة في المنطقة كتلك التي كانت شائعة في أجزاء أخرى من الريف في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الميلاد مما يشير إلى أن كبار ملاك الأراضي الزراعية كانوا يعيشون إما خارج ليبيا وإما في المدن القائمة على الساحل الليبي، وإن كان من النعتقد أن بعظهم كان يعيش في المنازل المتوسطة الحجم والمحصنة في ريف سيرين.

وقد حسن الرومان في عصرهم الوسائل والموارد المائية؛ يشهد على ذلك ما بقي من خزاناتهم المائية في سيرين وصفصافة وغيرهما. وعمل الرومان كذلك على تحسين المواصلات وتوطيد الأمن العام الذي أصبح مزعزعاً بشكل مستمر خلال القرن الميلادي الرابع عندما صار الليبيون يغيرون على أطراف المنطقة كلما سنحت لهم الفرصة. ولذلك فقد حوّل الرومان كل مزرعة إلى أشبه ما تكون بقلعة مصغرة. وصارت القرية تتجمع حول معقل حصين تلجأ إليه كلما دعت الحاجة. ووضعت الطرق العامة تحت الحراسة. ووسعت رقعة الأرض المزروعة إلى الجنوب من الجبل الأخضر حيث لا تزال تقوم آثار سلسلة من الحصون التي كانت تصد خطر البدو الرحل عن المنطقة. ولكن

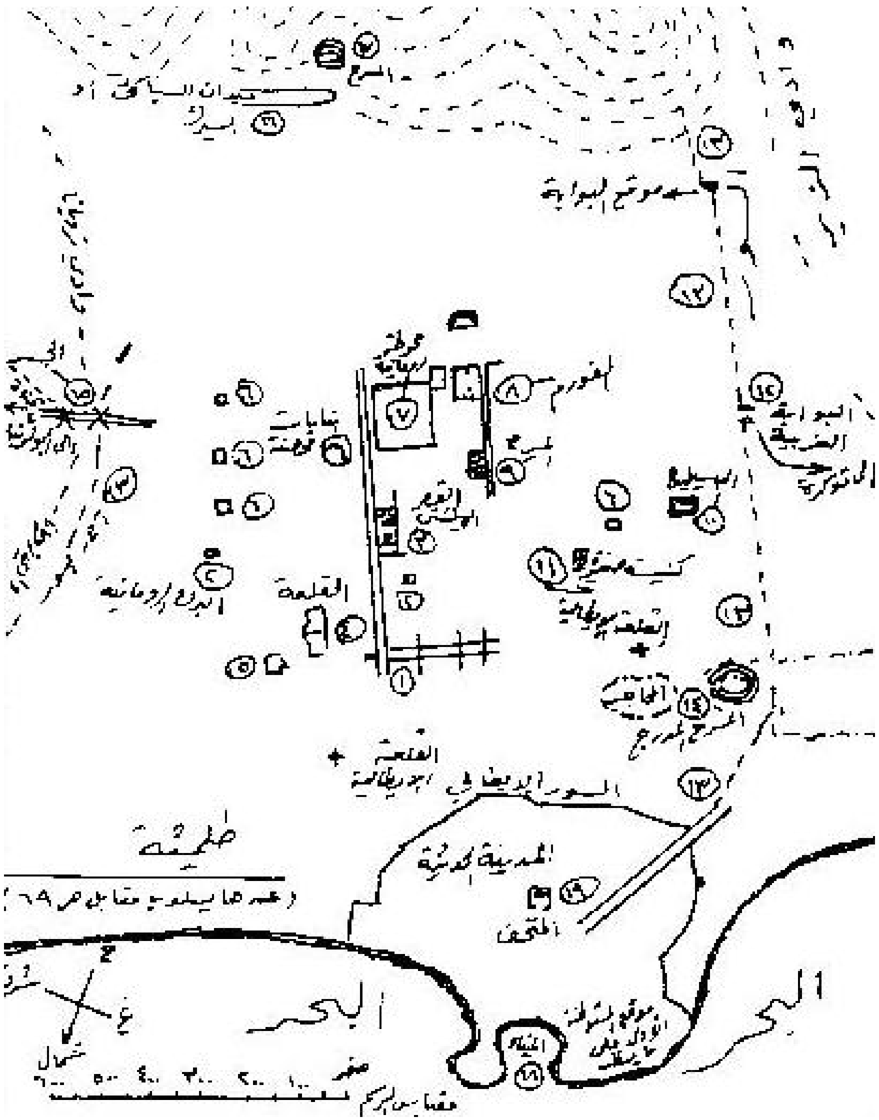
الغارات المتتالية والاضطرابات المتعاقبة أدت في القرن الميلادي الرابع إلى انهيار ذلك الأمن الذي كان الرومان قد ضمنوه إلى حين. وبالرغم من صرخات الاستغاثة الموجهة إلى إمبراطور القسطنطينية فإنه لم يرسل أية قوات إمبراطورية لبرقة. وقد وصف الأسقف سونسيوس في مطلع القرن الميلادي الخامس حرب العصابات التي كان يشنها الأستوريون على المنطقة وبين أن أية حكومة حازمة كان بوسعها أن تضع حداً لتلك الفوضى دون صعوبة تذكر. وقد تمكن الإمبراطور جستنيان في مطلع القرن الميلادي السادس من تحقيق ما كان سونسيوس قد تمناه؛ فأعيد بناء كثير من المباني والمرافق والتحصينات ولكن الأوضاع لم تلبث أن ساءت بعد انقضاء عهد جستنيان.

أبولونيا = سوسة:

تقع على الساحل على بعد عشرة أميال إلى الشمال من سيرين وعلى انخفاض (1800) قدم عنها. وقد زادت أهمية أبولونيا كميناء في القرنين الثاني والثالث للميلاد. وفي القرن الميلادي الرابع أخذت أهمية سيرين تتضاءل بينما استمرت أبولونيا تنمو وتزدهر حتى بلغت ذروة مجدها في هذا القرن عندما صارت عاصمة لولاية ليبيا العليا. وبالرغم من أن البحر قد ابتلع ثلث هذه المدينة الآن، إلا أننا لا نزال نرى آثار سورها الذي أعاد الرومان بناءه في القرنين الأول والثاني للميلاد.

وبالرغم من قلة أعمال التنقيب التي أجريت في هذه المدينة إلا أنه تمَّ التعرف على آثار كنيسة مسيحية كبيرة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي وقد أخذت أعمدتها الرخامية الخضراء المتفاوتة الطول من بناء روماني أقدم منها. وإلى الغرب منها جدار حجري من طراز رفيع لا بد أنه كان جزءاً من بناية هلينستية مهمة. وفي الركن الشمالي الشرقي توجد المعمدانية بجرنها المصلب الكبير الذي كان يسمح بغمر الجسم جميعه. وفي هذه الكنيسة بعض الفسيفساء التي تعبر عن موضوعات تتعلق بالحيوانات.

وإلى الغرب من هذه الكنيسة كنيسة أخرى ترجع إلى عهد جستنيان. وبين آثار هذه الكنيسة الثانية أعمدة رخامية نقشت على جنباتها صلبان



ترتكز على دائرة – ترمز للعالم – وهذه الأعمدة استوردت جاهزة من مقاطع الرخام الإمبراطورية في بروكونيسوس (Proconnesus) على الهليسبونت (الدردنيل).

برقة = المرج:

لم يبق من آثار مدينة برقة ما يوضح ماضيها في العصور الإغريقية والرومانية. وأغلب الظن أنها لم تزدهر بعد أن خربها الفرس سنة 515 ق.م. وفي العهد البطلمي ازدادت هي تضاؤلاً وطغت عليها طلميثة التي كانت تزداد تقدماً وازدهاراً حتى إنها أصبحت عضواً في اتحاد المدن الخمس في القرن الثالث قبل الميلاد.

ولقد وجدت إلى الجنوب من طريق بنغازي وعلى بعد ستة كيلومترات إلى الشرق من برّاقة. وفي برّاقة نفسها. آثار تدل على وجود مستوطنة رومانية في هذه الجهة حيث ما زالت تشاهد مزارع محصنة وأعمدة رخامية وجرار فخارية ثبتت في حفر في الأرض ليخزن فيها الزيت أو النبيذ.

بطليموسة = طلميثة:

تقع على الساحل إلى الشمال من برقة. وقد كانت أسوارها في عهد البطالمة تضم مساحة أكبر من مساحة مدينة سيرين. ولقد دلت الحفريات على أن شوارع هذه المدينة كانت مستقيمة ومتعامدة. وتدل كثرة البناء وكثرة التعديلات التي أدخلت على الأبنية القائمة في العصر الروماني على أن هذه المدينة كانت لا تزال مهمة بعد الاحتلال الروماني. والواقع أنها هي وأبولونيا أصبحتا المدينتين الرئيسيتين في برقة ابتداء من القرن الميلادي الثالث. وفي القرن الميلادي الرابع صارت طلميثة مركز أسقفية ثم عاصمة ولاية. ولكن غارات القبائل البربرية عليها اشتدت ابتداء من ذلك القرن مما أدى إلى نقض عدد كبير من مبانيها من أجل إقامة قلعة وحصون لتعزيز سورها الطويل الذي لم يكن الدفاع عنه أمراً سهلاً. ولقد ورد في رسائل سوسيوس: أسقف هذه المدينة (373 – 414 م.) وصف مفصل للأحوال المصطربة في هذه الفترة. وكان سونسيوس هذا فيلسوفاً على طريقة الافلاطونية

الحديثة كما أنه كان صياداً. وهو لم يعمَّد إلا بمناسبة تعينه أسقفاً للمدينة سـنة 410 م.. وحتى آنذاك فإنه قبل ذلك التكريم متردداً واشـترط أن يسمح له في الاسـتمرار بالاحتفاظ بزوجته. وكان سونسيوس زعيماً قديراً كما إنه كان ماهراً في التكتيك العسـكري. ولا شـك أنه قام بدور فعال في تنظيم الدفاع عن المدينة وفي بناء التحصينات وبناء كنيسـته التي تشـبه القلعة في طلميثة. ولقد عززت وسـائل الدفاع والتحصينات التي أقيمت في أيامه في طلميثة خلال بقية العصر البيزنطي.

مفتاح مخطط طلميثة وملاحظات على آثارها:

1- شـارع النصب التذكارية: يمتد من الغرب إلى الشـرق ويرجع تاريخه إلـى العصر الروماني كما تظهر فيه أبنية من القرن الميلادي الرابع وما بعده. ويبـدو أن هذا الشـارع كان له طابعه الخاص اذ كانـت توجد على طوله ممرات مسـقوفة ونوافير وتماثيل تكريمية ونقوش. ويلاحظ أن قوس النصر الروماني الحديـث في الطرف الغربي من هذا الشـارع به ثلاثة أقـواس – وهذا أمر غير مألـوف في الأقـواس الرومانية في افريقيا – وإلى جانبـه على الأرض أعمدة رخامية كانت تقوم أزواجا متقابلة على مدخل القوس.

2- البرك الرومانية: وهي من أصل روماني ولها سـقوف معقودة بشكل غير عادي.

3- القصر الهلينسـتي: يرجـع تاريخ هذا القصر إلـى القرن الأول قبل الميلاد وتظهـر عليه تعديلات ترجع إلى القرنـين الأول والثاني للميلاد. ويقدر من حجمه وما فيه من زينات معقدة أنه كان منزلا لأحد كبار الشـخصيات. وفي طرفه الجنوبي عدد من قاعات الاسـتقبال المبلطة بالفسيفسـاء والتي تفضي في الشمال إلى فناء معمد في وسطه بركة ماء للزينة. وفي جهتيه الشرقية والغربية كانت غرف أخرى تشكل طابقا ثانيا كان يقوم فوق مساكن الخدم والمرافق المنزلية الأخرى التي لا تزال موجودة وإلى الشـمال يبدو أنه كان هنالـك فناء ثان بأعمـدة كورنثية زينت قواعدها بأوراق نبـات الأكانثوس. ولا تزال كان يحيط بهذا الفناء الثاني وكانت به حمامات خاصة بأصحاب المنزل.

ومن الناحية الشـمالية من جهة الشـارع كان صف من الحوانيت مما يشـير إلى العرف السـائد آنذاك في تأجير أجزاء من المساكن الواقعة على الشوارع كمتاجر.

4- القلعة: (Citadel) هذه هي القلعة الرومانية الرئيسية التي بدئ ببنايتها في القـرن الميلادي الرابع وبالإمكان ملاحظـة التعديلات والإضافات البيزنطية التي أدخلت عليها في القرن السـادس للميلاد والتي تتميز بصغر حجارتها.

5- أثر يرجع لنفس الفترة الخاصة بالقلعة (4) وفيه بقايا عقود داخلية مقوسة.

6- بنايـات محصنة: ترجع لأواخر العصر الرومانـي وللعصر البيزنطي. وقد كانت قلاعا أو مستودعات محصنة.

7- محوطة رومانية: ربما كانت فورم أو قوسا بداخله بناء معمد.

8- الفـورم: فناء مربـع ومحاط بالأعمدة. أعيد بنائه فـي القرن الميلادي الأول علـى موقع الأجورا الهلينسـيتية وفوق أربعة عشـر خزانا كبيرا أزيلت سـقوفها القديمـة المكونة من البـلاط الحجري وعوضت عنها بسـقوف من العقود الرومانية وكانت المياه تأتي لهذه الخزانات من الركن الجنوبي الشـرقي الذي ربما كان متصلا بالقناة المائية رقم (15). ولا تزال آثار بلاط الفسيفساء بادية فـي الجهة الجنوبية كما يقوم في الجهة الشـمالية معبد أجريت على بنائه تعديلات كثيرة.

9- المسرح: مسرح روماني صغير وبه قاعة استماع صغيرة شبه دائرية يحيط بها مربع من البنايات.

11- الباسـيليكا: كنيسـة مسـيحية يرجع تاريخها إلى مطلع القرن الخامس الميلادي، وربما كان بناؤها على يدي الأسـقف سونسيوس. ويدل بناؤها على أنها حولت عن بناية قديمة إلى كنيسـة حصينة يسـهل الدفاع عنها. وفي زاويتها الشـمالية الشـرقية معمدانية مقببة. وإلى الشمال الشرقي

توجد آثار كنيسية أخرى (11) مشابهة للباسيليكا المذكورة.

12- البوابة الغربية: بناء هلينستي من القرن الثاني قبل الميلاد تظهر عليه آثار اصلاحات متأخرة. لاحظ حجر الحدود خارج البوابة. وكان قد أقيم في عهد دومتيان (81 – 96 م.) ليسجل عودة الأراضي البلدية لهذه المدينة.

13- سور المدينة: تظهر آثار سور المدينة في الجهة الغربية منها وربما كانت تعود إلى زمن البوابة الغربية. وتدل نقوش على بعض الحجارة التي استخدمت في ترميم السور فيما بعد على أنه رمم في القرن الميلادي الثالث. وبالامكان تتبع خط السور الجنوبي على طول حافة الجبل. ولعل هذه الجهة من السور أصبح الدفاع عنها مستحيل في القرن الرابع الميلادي نظرا لطولها. ولعل ذلك يعلل بناء كثير من القلاع في المدينة في هذه الآونة.

14- المسرح المدرج: هذا مسرح روماني مدرج من القرن الأول والثاني للميلاد وكان يستخدم لعروض المصارعة والحيوانات المفترسة. والجدار الرئيسي الذي لا يزال موجودا في الداخل هو الجانب الخارجي للممر المعقود الذي كان يحيط بالحلبة. وعلى الجهة الشمالية الشرقية من هذا الجدار لا تزال توجد آثار زنار من الدهان رسمت عليه صور المصارعين.

15- الجسر: فوق وادي زوينة (Zuiana) وهو روماني من أواخر القرن الميلادي الأول وربما كان قد أقيم في عهد الإمبراطور تراجان (97 – 117 م.) وبه قوسان وتظهر على جزئه الشمالي بقايا قناة مائية كانت تحمل المياه للمدينة من التلال على مسافة خمسة وعشرين ميلا إلى الشرق.

16- السيرك أو ميدان السباق: وتدل آثاره بوضوح على أنه كانت به حلبة مستطيلة لسباق الخيول والعربات. قارن هذا مع سيرك سيرين.

17- المسرح: مكون في تجويف طبيعي في إحدى التلال وهو من النوع الهلينستي وربما كان تاريخه يرجع إلى القرن الثاني فبل الميلاد.

18- الميناء: ربما كان الميناء القديم في نفس موقع الميناء الحديث. ويظن أن

المستوطنة الأولى هنا كانت إلى الغرب من هذا الميناء. وإلى الغرب من المدينة شمالي الطريق الرئيسي عدد كبير من القبور والمحاجر. وضريح كبير يرجع للقرن الثاني قبل الميلاد. وربما كان خاصا بأصحاب القصر الهلينستي (3).

19- المتحف: فيه تماثيل ومنقوشات وقطع من تماثيل مصرية الأسلوب جيء بها من القصر الهلينستي (3) وهي تشير إلى ارتباط برقة بمصر في عصر البطالمة. وتجدر الاشارة إلى انه وجدت في كل من طلميثة ولبدة وطبرق فسيفساء تمثل أورفيوس (Orpheus) وهو يعزف على قيثارته وحوله الوحوش والطيور تصغي إليه. ويعتقد انها ترجع إلى أواخر القرن الرابع الميلادي أو أوائل القرن الخامس الميلادي[94].

توكيرا (Teuchira) = توكرة (Tocra):

في القرن الثالث قبل الميلاد صارت توكرة عضوا في إتحاد البنطابولس. ومع أنها سميت آرسينوي في عهد البطالمة فقد عرفت لفترة قصيرة من ذلك العصر باسم كليوباتريس (Cleopatris) نسبة لابنة كليوبتره من مارك أنطوني. وقد اشتهرت في هذه المدينة عبادة الالهتين سيبيل (Cybele) وريا (Rhea) وهما إلهتان كانتا ترمزان لخصوبة الطبيعة. ومنذ عهد البطالمة سارت هذه المدينة على النحو الذي سارت عليه طلميثة التي تبعد عنها بخمسة وعشرين ميلا.

أما ما تبقى من آثار هذه المدينة فهو دائرة السور الكاملة وقد تهدم السور في معظم نواحيه وإن كانت أجزاء منه لا تزال قائمة بارتفاع معقول حيث تشاهد أبراج ذات زوايا أربع وبوابتان واحدة شرقية والأخرى غربية. وهذا السور من بناء الامبراطور جستنيان في القرن الميلادي السادس وتظهر فيه حجارة على بعضها نقوش تدل على أنها أخذت من بنايات أقدم من السور. وليس داخل السور الكثير مما تمكن مشاهدته خاصة وان الحفريات لم تبدأ هنا الا سنة 1938م. ولكن المرء لا يستطيع أن يتتبع آثار الشوارع والأبنية بما في

94- The Journal of Roman Studies, Vol. LII, 1962, an article under the title "An Orpheus Mosaic at Ptolemais in Cyrenaica", by R. M. Harrison, pp. 13 - 18.

ذلك كنيستان مسيحيتان كانت إحداهما في الركن الشمالي بالقرب من القلعة التركية التي ربما كانت قد أقيمت على أسس الأكروبولس الاغريقي.

وهنالك أيضا مجموعة من المنازل أجريت فيها حفريات قليلة ويوجد قربها حوض ماء طويل مما قد يشير إلى وجود اسطبل. ويظهر بين البساتين إلى الشمال من البرج الحديث القائم على تلة بها البوابة الجنوبية، فناء هلينستي معمد وعلى جانبه الجنوبي ممر معمد مسقوف، كما يوجد عدد من القبور في المحاجر الواقعة في الجهتين الشرقية والغربية من المدينة، وهي قبور بسيطة منحوتة في الصخور وتدل نقوشها على انها استعملت في القرن الأول قبل الميلاد. وضمن هذه القبور بعض قبور مسيحية وأخرى يهودية. وتشير نوعية هذه القبور وندرة شظايا الرخام في هذه المواقع على ان مجتمع توكرة كان مجتمعا فقيرا يعيش عيشة بسيطة اذا ما قورن بمجتمعات المدن الأخرى. ولعل أهمية هذه المدينة كانت تكمن في كونها مركز حماية للممر الذي يتجه منها إلى الشرق.

وعلى الطريق من توكرة لبنغازي، شرقي برسيس (Bersis) وبجوار المسجد الصغير القائم جنوبي الطريق توجد بقايا قلعة ترجع إلى أواخر العصر الروماني أو إلى العصر البيزنطي. وإلى الغرب من هذا الأثر يوجد أساس بناء دائري كبير ربما كان موسوليم ضخما. ولا تزال بعض آثار المستوطنة الرومانية الجديدة هدريانابولس (Hadrianapolis) قائمة بين تنصولة ودريانة. وتشير تلك الآثار إلى وجود نقاط حراسة للطريق العام ووجود مساكن للمزارعين الذين كانوا يستغلون هذه المنطقة والذين كان الامبراطور هدريان قد جاء بهم لإنعاش برقة بعد ما لحقها من خراب في أعقاب الثورة اليهودية. وفي الكويفية بالقرب من بنغازي توجد آثار مزرعة إلى الجنوب من الطريق مقابل السجن الايطالي وفيها آثار جيدة لمعصرة زيت زيتون.

يوسبيريدس = برنتشي = برنيق = بني غازي = بنغازي:

في العصر البلطمي سميت يوسبيريدس باسم برنتشي (Berenice)

تكريما للأميرة برنتشي إبنة الحاكم ماجاس بمناسبة زواجها من بطليموس الثالث يورجيتس أي الخير. ويرى أن الأميرة نذرت أن تكرس شعرها الجميل للإلهة أفروديت اذا رجع زوجها سالما من حملة له على سوريا 246 ق. م. وعندما تحققت أمنيتها وفت بنذرها ولكن شعرها اختفى عن تمثال أفروديت في اليوم التالي لتكريسه. وقد أعلن كونون (Conon) الفلكي الأسكندري المشهور، أن العناية الربانية هي التي رفعت جدائل الأميرة برنتشي إلى السماء لتكون منها مجموعة جديدة من النجوم. ومنذ ذلك اليوم حتى الآن صارت مجموعة النجوم القريبة من ذيل الأسد (Leo) تعرف باسم جدائل برنتشي (Corea Berenices).

وقبيل هذا الوقت من القرن الثالث قبل الميلاد صارت هذه المدينة عضوا في اتحاد البنطابولس، وفي القرن السادس الميلادي جرى تحصينها في عهد جستنيان الذي أمر أيضا باقامة عدد من الحمامات فيها.

أما آثارها فلم يبقى منها شيء يذكر لأن حركة العمران فيها منذ العصر التركي وخاصة أثناء الاحتلال الايطالي أدت إلى القضاء على الآثار القديمة. ولقد اكتشف على جزيرة في بحيرة تريتونس (Tritonis Lacus) تمثال للإلهة أفروديت (=فينوس) قرب معبدها الذي كان قائما على الجزيرة. أما الميناء الأصلي فربما كان إلى الغرب من المنارة الحالية وغير بعيد عنها. وكانت المقابر القديمة تشغل مساحة إلى الجنوب الشرقي من البحيرة، ولا تزال القبور البطلمية والرومانية المنحوتة في الصخور تشاهد في مفلوقة على مرتفع حرجي إلى جانب البحيرة.

وعندما بني ذلك الجزأ من المدينة الذي سمي برنتشي بني سنة 247 ق. م. على النتوء الذي يفصل البحر عن البحيرة وعلى بعد ميلين اثنين من يوسبيريدس. ولا بد انه بني قبيل زواج الأميرة برنتشي من بطليموس الثالث ملك مصر فنحن ما زلنا نذكر أنه لما توفي والدها ماجاس، حاكم برقة الذي كان قد استقل بها، سنة 258 ق. م. كانت الأميرة برنتشي في الرابعة عشرة من عمرها وكانت معطاة للأمير البطلمي الذي أصبح فيما بعد ملكا لمصر باسم بطليموس الثالث. ولكن الحزب القومي في قورينة عارض

قيـــام ارتباط وثيق مع مـصر ونجـــح فـي اقامـة نـوع مـن الحكـــم الـديمقراطي فـي قـورينـة. وبـعـد ذلك بحوالي عشـر سنـوات تـزوج بـطليمـوس الثالث مـن بـرنتشـي فعـادت منـطقـة بـرقـة تابعـة لمصر وغيـرت أسـمـاء بعــض مدنها تخليدا لتلك المنـاسبة[95].

وتجدر الاشـارة إلى ان بنغازي كـانت مسـقـط رأس صياد السمك أنـدرونيكـوس (Andronicus) الذي صار حاكمـا للبنطابـولس حوالي سنـة 410 م. وكـان على علاقـة خـصام مع سـونسيـوس، أسـقـف طلميثة.

وبالاضافـــة للمـدن الرئيسـيـة الـتـي مـر ذكـرهـا فـــان الاغـريق والبطالمة ومـن بعـدهــم الرومـان والبيزنطيون قد اســتغلوا كـل المواقع المناســبة عـلـى طول ســاحل برقة من مثل أجدابية التـي لا تزال ترى بها بقايا كـنيســة مسيحية من مخلفات القرن الميلادي الســادس، والأسـقـفـة (Asgafah) إلى الشمال الغربي من الأبيار حيث يرى ضريح منحوت في الصخر من القرن الرابع الميلادي وعلى جدرانه رســوم تمثل صاحبه وزوجته وهما يتســلمان العائدات العينية من المزارعين الذين كـانوا يعملون في أرضهما بالأجرة. وعلى مســافة قصيرة من هذا الموقع تقوم أثار بناية كبيرة بين الخرائب يعتقد انها كـانت منزلا لذلك الملاك. ثم هنالك درنة حيث قضت حركة العمران الحديث على الآثار الاغريقية والرومانية وعلى الميناء القديم الذي لم يرد له ذكر قبل القرن الميلادي الثاني مما يرجح الاعتقاد بأنه لم تكن له أهمية تذكر. ولقد كـانت المستوطنة الأصلية إلى الغرب من وادي درنة. ويلاحظ أن ســقف المسجد الرئيسي في درنة يقوم على أعمدة رومانية. وهنالك أيضا طبرق التي لا شك أنها كـانت ميناء اغريقيا ثــم رومانيا ولكن لم يبق من آثارها شــيء يذكــر، وإن كـان بعضهم قد روى أن الامبراطور جستنيان جدد تحصيناتها. ولا بد أن الاغريق والرومان لم يفتهم أن يستفيدوا من المرافئ الصغيرة النافعة في بمبا وعين غزالة والبردية[96].

95- Goodchild, R.G., Benghazi, The Story of a City, Department of Antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd Edition, Lamin Hasni's Press, 1962

96- Hyslop, C.G.C., in collaboration with Applebaum, S., Cyrene and Ancient Cyrenaica, A Guide Book, Government Press, Tripolitania, 19945.